

أفعال الكلام البسيطة

أ. عبيد بن حملة

جامعة باتنة¹

تاريخ النشر: 15/12/2018

تاريخ القبول: 2018/12/26

تاريخ الإرسال: 2018/01/12

ملخص:

إذا كانت التداولية تقوم عند أصحابها على جملة من النظريات المهمة فإن نظرية الفعل الكلامي تشكل النواة المركزية لها، إذ لا يكاد يخلو مؤلف في الدراسات اللغوية الحديثة من التعرض لهذه النظرية بطريقة أو بأخرى ذلك أنها استطاعت أن توصل القيمة البراغماتية للعمل اللغوي التداولي؛ حيث جعلت من طبيعة الفعل اللغوي حدثاً مؤثراً بل ومغيراً للعالم، فهذه النظرية وعبر واقعيتها العملية أعادت تشكيل العالم من خلال اللغة مستندة على حدودها الدلالية والوظيفية ومعتمدة على قوتها الإنجازية، فقد تحولت معها وظيفة الظاهرة اللسانية من الوصف والإخبار إلى الإنجاز والتأثير، فاللغة إذن ليست بنية ودلالة فحسب بل هي أيضاً فعل كلامي يؤدي من خلاله أغراضاً مختلفة، والكلام ليس عملية تبادل للأخبار فقط بل هو أيضاً فعل مضبوط بقواعد دقيقة يرنو إلى تغيير حال المخاطب وموقفه، وفهمنا للكلام يعني تشخيص مضمونه الإخباري، وتحديد غرضه التداولي أي قيمته وقوته الإنجازية¹

الكلمات المفتاحية: التداولية؛ أفعال الكلام، القوة الإنجازية

مقدمة:

عرف مفهوم الفعل اللغوي مخاضا عسيرا حتى استوى على سوقهوغدا نظرية مكتملة أسهمت في تفسير الكثير من القضايا التي عجزت عنها النظريات البنوية والدالية والعقلية رغم تنوع مدارسها وكثرة أعلامها

وقد شارك في هذه المسيرة الطويلة نخبة من الفلاسفة واللغويين الذين تركوا بصماتهم على طريق هذه النظرية الحديثة، وقد ارتأينا تتبع جذور هذه النظرية واقتفاء مراحل تطورها، ثم القفزات النوعية التي ساهمت في نقل اهتمامها من الفعل اللغوي البسيط المرتبط بالجملة إلى الفعل اللغوي المركب فالكلي المهيم على النص أو الخطاب من خلال تتبع أعمال نخبة مناهم روادها ومطورها، وعرضت عقبياتهم وإضافاتهم.

1- المغالطة الوصفية

يُعدّج. ش. أوستين (J. R. Austin) المؤسس الحقيقي لنظرية أفعال الكلام، وواضع بذورها الأولى فهو الوريث الشرعي لتيار فلسفة اللغة العادية التي عُنت بلغة التداول اليومية، فقد عارض "أوستين" من البداية النظرة القاصرة -حسبه- لآراء فلاسفة

اللغة الوضعانيين² الذين يعتبرون أن الملفوظات غير الوصفية لا معنى لها ولا جدوى من دراستها، وأطلق على هذا التحديد اسم المغالطة الوصفية أو "الوهم الوصفي"³ لأنها سجت استعمالات اللغة في الجمل الوصفية فقط⁴ وظهر تأثيره البارز في هذه النظرية بعد إصدار مؤلفه الموسوم بـ "How to do things with words" كيف نصنع الأشياء بالكلمات"

فمنذ البداية فند أوستين ما كان من وهمٍ فلسفي حول تصنيف القضايا باعتبار الصدق والكذب الوهم الذي قام على افتراض مفاده أن أحكام القضايا لا تحلوا إما أن تكون وصفا لحالة واقعية أو تكون إثباتا لواقعة عينية بعد أن تحقق من أن عددا كبيرا من القضايا التي كانت تعتبر ذات أحكام قابلة لاحتمال التصديق أو التكذيب وما هي في الحقيقة كذلك، إذ نجد أنها لا تصف حالة، ولا تثبت واقعة مطلقا⁵، فتلفظنا بهذه العبارة مثلا "أمرتك بالصمت" هو في الواقع إنجاز لها لا وصفاً وإثباتاً (سعي لفرض الصمت) ثم قامبتقسيم التعابير الإخبارية إلى وصفية وإثباتية؛ فأما التعابير الوصفية فهي ما كان الحكم فيها وصفيا (السماء صافية)، وأما التعابير الإثباتية فهي ما كان الحكم فيها إثباتيا (مات زيد).

2- الملفوظات الوصفية والإنجازية

في مرحلة تالية من أعماله ميز "أوستين" بين الملفوظات الإخبارية وبين الملفوظات الإنجازية⁶ فالإخبارية حسبه هي التي تصف العالم الخارجي وتخضع لمعيار الصدق والكذب (المطر يتهاطل) أما الإنجازية فننجز بها أفعالا بمجرد التلفظ بها بشرط توفر شروط نجاح معينة، وهذا ما جعل "أوستين" يسميها "إنشائيات"⁷ وهي تخضع لمعيار النجاح والفشل (أطع والدك).

ونظرا للتداخل الذي لاحظته "أوستين" بين النوعين من الملفوظات اقترح جملة من المعايير⁸ لتمييز الأفعال الإنجازية عن الوصفية، وقسم هذه المعايير إلى مقالية (تحتوي شروطا نحوية ومعجمية) وأخرى مقامية (تحتوي شروط الملاءمة) وأطلق على المخالفات التي تقع للمعايير المقامية الأربعة الأولى اسم (الاحفاقات) لأنها معايير لازمة والاحلال بأحدها يؤدي إلى إخفاق الفعل وفشله، فيما أطلق على المخالفات التي تقع للمعايير الأخيرين اسم (الإساءات) لأن خرق أحد هاذين المعيارين لا يجعل الفعل فاشلا ولكن تكون طريقة أدائه سيئة.

(قمت بتلخيص هذه المعايير المقالية والمقامية في الجدول الموالي)⁹

الخروقات		معايير مقامية	معايير مقالية
<p>الاحفاقات</p> <p>هذه المعايير الأربعة</p> <p>لازمة والاحلال</p> <p>بأحدها يؤدي إلى</p> <p>إخفاق الفعل وفشله</p> <p>فلا يعد منجزا</p>	<p>فعمقد الزواج عندنا</p> <p>لا يقع إلا بالصيغة</p> <p>الشرعية المعروفة</p>	<ul style="list-style-type: none"> وجود إجراء عرفي أو مؤسسي متعارف عليه لدى المشاركين في التواصل 	<ul style="list-style-type: none"> أن تشمل الجملة على فعل إنجازي؛
	<p>فالحكم هو من</p> <p>يعلن بداية</p> <p>المباراة لا سواه</p>	<ul style="list-style-type: none"> أن تكون الظروف ملائمة للإنجاز والمشاركون مناسبين للتنفيذ 	<ul style="list-style-type: none"> يعد، يهدد، يجذر..
	<p>فلا يقول الأب</p> <p>للخاطب: زوجتك</p> <p>إحدى بناتي</p>	<ul style="list-style-type: none"> يجب تنفيذ الاجراء من طرف كل المشاركين بطريقة صحيحة 	<ul style="list-style-type: none"> أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم
	<p>فلا بيع بإيجاب</p> <p>دون قبول</p>	<ul style="list-style-type: none"> يجب أن يؤدي الاتفاق أداء كاملا 	<ul style="list-style-type: none"> أن يكون الفعل المستعمل مبنيا

<p>الإساءات</p> <p>خرق أحد هاذين المعيارين لا يجعل الفعل فاشلا ولكن تكون طريقة أدائه سيئة</p>	<p>فلا معنى لمن يعد وهو يضمن الخلف بالوعد</p>	<p>• يجب أن تتوافر أفكار ونوايا مشتركة يتطلبها ذلك الاتفاق لتأدية الفعل الكلامي</p>	<p>للمعلوم</p> <p>• أن تكون صيغة الفعل في المضارع</p>
	<p>فلا عبرة بمن تراجع عن دفع ما وعد به</p>	<p>• يلتزم المشاركون بمواقفهم إلى نهاية الفعل</p>	

عاد أوستين في مرحلة لاحقة وقسم التعبيرات الإنشائية إلى قسمين صريحة وأصلية¹⁰؛

فالإنشائية الصريحة هي ما يصرح فيها المتكلم بفعل دال على إنشائيتها (أعدك بأني

سأزورك غدا)، أما الإنشائية الأصلية فهي تعابير تأتي للإنشاء ولا يتم التصريح فيها

بالفعلا لدال على إنشائيتها (سأزورك غدا)، واشترط في الفعل الإنشائي أن يكون على

صيغة المضارع المبني للفاعل المتكلم كما في (أعدك) وإلا فسيكون الفعل للإخبار

وليس للإنشاء (وعدتك بأني سأزورك غدا).

لكن "أوستين" تفاجأ بعد ذلك بأن الجمل الوصفية قد تؤدي وفقا لمعايير الجمل

الإنجازية، فتحضع لمعيار النجاح والفشل، وأن الجمل الإنجازية قد تؤدي وفقا لمعايير

الجملة الوصفية، فتخضع لمعيار الصدق والكذب مما جعله يقرّ بصعوبة الحسم في المعايير أو الضوابط التي بواسطتها نستطيع التمييز بين العبارات الإنشائية والخبرية.

3- الفعل الكلامي

في مرحلة متقدمة قرر "أوستين" أن الفعل اللغوي عموماً يمثل كباقي الأفعال الانسانية شكلاً من أشكال السلوك الاجتماعي لأنه يمثل الممارسة اللغوية والتفاعل التواصلية، وخلص إلى استبدال ثنائية (وصف/ إنجاز) بثنائية (قول/ فعل)¹¹ بعد اقتناعه باستحالة الفصل بين الجملة الوصفية والجملة الإنجازية لتداخلهما، ومنهنا بدأ التأسيس الفعلي لنظرية أفعال الكلام منطلقاً من استنتاج مفاده أن التلفظ بالكلام ما هو في الحقيقة إلا إنجاز لفعل ما¹²، واعتبر الفعل اللغوي يمثل وحدة مركبة من ثلاثة عناصر فعلية¹³ مرتبطة فيما بينها ولا يمكن فصل بعضها عن بعض إلا إجرائياً، وهذه العناصر هي¹⁴:

أ) **الفعل القولي (L'acte Locutoire)**: يتمثل في التلفظ بالأصوات، ويندرج

تحت ثلاثة أفعال فرعية تنجز في الوقت ذاته:

• **الفعل الصوتي (L'acte phonétique)**: يمثل عملية التلفظ بالأصوات

وفق نظام لغوي معين

• **الفعل التركيبي (L'acte phatique):** يمثل عملية التأليف بين الكلمات المنطوقة بمراعاة القواعد.

• **الفعل الدلالي (L'acte rhétique):** يتمثل في إعطاء معان وإحالات لتلك الكلمات¹⁵.

ب) **الفعل الإنجازي (L'acte Illocutoire):** هو الفعل الذي ننجزه بواسطة القول¹⁶ كالتحذير.

ج) **الفعل التأثيري (L'acte perlocutoire):** هو الأثر الذي يحدثه الفعل لدى المخاطب¹⁷.

وقد ختم أوستين أعماله بتصنيف أفعال الكلام على أساس قوتها الإنجازية إلى خمسة أصناف¹⁸:

• **الحكميات (les verdictatives):** تخص إصدار أحكام تقييمية أو تقديرية؛ يبرئ، يقيم، يقدر...

• **الممارسات (les executives):** تخص ممارسة السلطات؛ يعين، يعلن، يقيل...

• **الوعديات (les commissives):** يتعهد المتكلم من خلالها بفعل

شيء؛ أعد، ألتزم...

• **السلوكيات (les conductives):** تخصّ إبداء سلوك معين؛ أعتذر،

أواسي، أهنيء...

• **العرضيات (les expositives):** تخصّ الشرح والنقاش والحجاج؛ أثبت،

أبرهن...

ورغم الأعمال الجليلة التي قدمها أوستين في هذا المضمار إلا أنه يعترف في الأخير

بصعوبة وضع معايير صارمة للوصول إلى تصنيف محكم لأفعال الكلام، وعبر عن عدم

رضاه عن النتائج التي توصل إليها.

4- الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للتبليغ

لم يؤسّس تصنيف "أوستين" للأفعال الكلامية وفق معايير واضحة، الأمر الذي أدى إلى

وجود نوع من الخلط الذي يمكن أن يقع بين تلك التقسيمات، فالحدود بينها لا تبدو

واضحة مما حدا بتلميذها لنجيب وسليل مدرسة أوكسفورد اللغوية "ج. ر. سيرل (J.

R. Searle)" للسير على خطى أستاذه، حيث أضاف فأبدع وضبط فأحكم حتى

استوى على يديه مفهوم الأفعال اللغوية نظرية محكمة رصينة تستهوي القاصي

والداني، إذ صرّح "حينما أنفث واحدة من تلك النفثات السمعية في موقف كلامي فيمكن القول إنّي أؤدي فعلا كلاميا"¹⁹

فقد وضع " سيرل " مصطلح "speech acts" * الذي غدا حديث العام والخاص وقرر منذ البدء أن الوحدة الأساسية الصغرى للتبليغ اللغوي والتواصل هي الفعل الإنجازية العلامة أو الكلمة أو الجملة كما كان يعتقد²⁰، وأوضح أن دراسة أفعال الكلام دراسة دقيقة هي في الحقيقة دراسة للغة في حد ذاتها وليست دراسة للكلام فقط بتعبير "دي سوسير"، وأن دراسة الجمل ودراسة الأفعال الإنجازية ليستا دراستين منفصلتين بل هما دراسة واحدة من زاويتين مختلفتين، وقرّر أن التكلم في حد ذاته يمثل شكلا من أشكال السلوك الإنساني المنظم يرتبط بالعرف اللغوي الاجتماعي بما لا يقل عن ارتباطه بمقاصد المتكلمين، لذلك وضع قواعد عرفية اجتماعية ثقافية تتحكم في إنجاز الفعل اللغوي وتحقق نجاحه و صنفها إلى²¹:

- قواعد تأسيسية: تؤسس وتوجه إخراج الإنجاز إلى الوجود وتحدد معاييرها، والخلل فيها يؤدي إلى فشل الفعل اللغوي كقواعد لعبة كرة القدم.

- قواعد ضابطة: تنظم أشكال الفعل اللغوي، وتوجه الإنجاز في الوجود كقواعد

اللباقة، ولا تؤثر على أداء الفعل

5- الفعل القضوي

اهتم "سيرل" بدراسة الفعل القضوي بشقيه الإسناد والإحالة لاهتمامه بدراسة المعنى

حيث فصل مفهوم الإحالة والإسناد عن مفهوم الفعل اللغوي كالأمر والوعد فهما -

حسبه - ثابتان بينما هو متغير؛ (قام رضا - قم يا رضا - ألا تقوم يا رضا؟)، فقيام

رضا ثابت في هذه الجمل ولكن أغراض الجمل متغيرة، وفرق بين المحتوى القضوي

والقوة الإنجازية، فقد يكون الفعل الإنجازي دون محتوى قضوي (يا سلام: للفرحة)،

وقد يكون للمحتوى القضوي الواحد عدة أفعال إنجازية مختلفة؛ فقولنا: خرج

زيد (إخبار)، وهل خرج زيد؟ (استفهام) وليخرج زيد (أمر)؛ فالمحتوى القضوي واحد في

الجمل الثلاث وهو خروج زيد لكن الفعل الإنجازي يختلف من جملة لأخرى، كما بين

"سيرل" أن هناك من العناصر التركيبية داخل الجملة ما يدل على القوة الإنجازية²²

"indicateur de la force illocutionnaire" كعلامات الترفيم والنبر،

ومنها ما يشير إلى المحتوى القضوي كالمركب الإسنادي، وميز في هذا الإطار بين النفي

القضوي والنفي الإنجازي؛ فالنفي القضوي لا يغير طبيعة الفعل الإنجازي - أعد ألا

أكرها - أما النفي الإنجازي فإنه يغير طبيعة الفعل الإنجازي - لا أعدك بالمجيء -
وتوصل إلى إعادة صياغة تركيبية رباعية للفعل اللغوي²³ على النحو التالي:

(أ) **الفعل القوي**: يتمثل في التلفظ بعارة وفق قواعد اللغة. (يقابل عند أوستين الفعل الصوتي والتركيب)

(ب) **الفعل القضوي (Acte propositionnel)** وينقسم إلى فرعين هما:

- فعل الإحالة أو الإسناد (Acte de predication)

- الفعل الحمل (Acte de reference) (يقابل عند أوستين فعل الدلالة)

(ج) **الفعل الإنجازي**: فعل يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به كالأمر والوعد (هو نفسه عند أوستين)

(د) **الفعل التأثري**: هو ما يمكن أن يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقي كالتحفيز (هو نفسه عند أوستين)

ومن أجل إنجاح الفعل الإنجازي وضع شروطا هي²⁴: - شروط تمهيدية: * يجب أن

يكون المتكلم في الوضع الذي يسمح له بتحقيق الإنجاز.

* يجب أن يراعي ظروف مخاطبه واستعداداته.

- شرط المحتوى القضوي: * يجب مراعاة العلاقات الإسنادية التي تضبط المحتوى القضوي.

- شروط الجدوية: * يجب أن يكون المتكلم جادا في كلامه.

* يجب أن يكون قاصدا إلى تحقيق إنجازه.

- الشرط الأساسي: * يجب أن يكون المتكلم عازما على تحمل تبعات إنجازه.

ولتوضيح الأمر اعتمد "سيرل" نموذج الوعد كفعل إنجازي وصاغ وفقه شروطا تجعل التواصل ممكنا²⁵:

- ضرورة وجود متكلم ومخاطب.

- ضرورة وجود قناة تواصلية.

- يجب أن يكون المشاركون على علم باللغة المستعملة للتواصل.

- يجب أن يكون المشارك مدركا لسلوكه وقادرا على إدراك سلوك غيره في التواصل.

- يجب أن يكون التواصل قائما على أدوار واقعية وجادة على عكس ما هو في المسرح وما شابهه.

- يجب ألا يكون هناك أي عائق مادي يحول دون إتمام التواصل.

ليتمكن بعدها من تطوير تصور أوستن لشروط الملاءمة التي تجعل الفعل الكلامي ناجحا إن تحققت ومنها:

- يتم إنجاز الفعل على يد المتكلم في زمن المستقبل
 - وجود نية وإرادة حقيقية من المتكلم للقيام بالفعل
 - المتكلم يريد التأثير على المخاطب قصد القيام بالفعل
 - التوافق بين المتكلم والمخاطب في المقصد
 - تحقق شروط التواصل العادية كوضوح الكلام وإمكانية الفهم
 - رغبة المتكلمفي أن يقوم المخاطب بالفعل
 - التلاؤم بين معنى الجملة²⁶ وقصد المتكلم
- وفي مرحلة متقدمة وضع "سيرل" اثني عشر معيارا للتمييز بين الأفعال الإنجازية وتسهيل تصنيفها وهي²⁷:
- الاختلاف في الغرض الإنجازي؛ فالأمر ليس كالوعد
 - الاختلاف في اتجاه المطابقة؛ ففي الإخباريات الكلمات تطابق العالم وفي الإلزاميات يحدث العكس.
 - الاختلاف في الحالة النفسية المعبر عنها؛ فالمتوسل ليس كالأمر
 - الاختلاف في قوة عرض الفعل الإنجازي؛ فالإقترح ليس كالإصرار

- الاختلاف في منزلة المتكلم والسامع؛ فالطلب الموجه من الأب لابنه ليس كالطلب من الابن لأبيه.
 - الاختلاف في طريقة ارتباط القول بالاهتمام؛ فالمدح ليس كالرثاء
 - الاختلاف في طريقة ارتباط الملفوظ بسائر الخطاب (عبارات الربط).
 - الاختلاف في المحتوى القضوي الذي تحدده مؤشرات القوة الإنجازية؛ فالتنبؤ ليس كالوصف
 - الاختلاف بين الأفعال الكلامية الدائمة والمتأرجحة؛ فالتصنيف غير دائم فقد نذكره وقد يحذف.
 - الاختلاف بين الأفعال التي تتطلب مؤسسات غير لغوية وعكسها؛ فالاستجواب يختلف عن السؤال
 - الاختلاف بين الأفعال القابلة للإنجاز وعكسها؛ فالوعد عكس الاقناع (أعد تختلف عن أقمع)
 - الاختلاف في أسلوب أداء الفعل الإنجازي؛ فالإعلان يختلف عن الإسرار.
- 6- الأفعال الكلامية غير المباشرة

اهتم "سيرل" بالأفعال الكلامية غير المباشرة وميزها عن المباشرة²⁸ لأنه يعتقد أنها أكثر تأثيراً وتواتراً في كلامنا من الأفعال المباشرة لأننا نميل في حواراتنا إلى التلميح أكثر من التصريح لأسباب عدة منها التأدب وتجنب الإحراج وتوخي حفظ ماء الوجه²⁹، لذلك وجب فهم هذا النوع من الأفعال وحسن تأويلها، كما ويعتقد أن التوجيهات هي المجال الأصح لدراسة الأفعال الكلامية غير المباشرة، وتبنى لفهمها آلية قرايس الاستدلالية، فاقترح تصنيف الأفعال الإنجازية إلى بسيطة ومعقدة (غير مباشرة)؛ فأما البسيطة فيكون قصد المتكلم فيها مساوياً للمعنى الحرفي، وأما الأفعال الإنجازية المعقدة فنجد فيها قوتين إنجازيتين مختلفتين حرفية ومستلزمة.

وفي معرض دراسته للأفعال الكلامية غير المباشرة تناول العبارات المتحجرة وبين أن المعنى خلالها يمر بمرحلتين الأولى تكون للعبارة دلالتان حرفية ومقامية وفي الثانية تمّحي الدلالة الحرفية وتبقى المستلزمة³⁰ أو المقامية.

ليصل في الأخير إلى وضع تصنيف خماسي لأفعال الكلام بالتركيز خاصة على المعايير الثلاثة الأولى (الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، الموقف النفسي) وهي كالآتي³¹:

• الإخباريات (**Acts Assertive**): كأمثلة عنها: يعلم ينبه، يقرر، يصف،

يصنف... - غرضها نقل المتكلم لواقعة ما من خلال قضية محددة

تعبّر عنها (غرضها الإنجازي العام هو التقرير) - اتجاه المطابقة

في أفعالها يكون من الكلمات إلى العالم - يدخل في

الإخباريات كل الجمل الخبرية المثبتة والمنفية والمؤكدة - درجة قوتها

الإنجازية حسب احتوائها على المؤكدات أو عدمها - أفعالها الإنجازية

تتراوح بين الإخبار والوصف والتقرير والثناء...

● التوجيهيات (**Actsdirectives**): كأمثلة عنها: يأمر، يمنع، يوصي،

يقترح... - الغرض الإنجازي لها تحريك السامع لتنفيذ فعل ما³² - اتجاه

- المطابقة فيها تغيير العالم بحيث يطابق الكلمات

الحالة النفسية المعبر عنها من خلال التوجيهيات رغبة المتكلم في أن ينفذ

المستمع الفعل المذكور

● الإلزاميات (**Acts Commissifs**): كأمثلة عنها: يعد، يتعهد، يتفق

على، يهدد... - غرضها الإنجازي هو أن يلتزم المتكلم بفعل

مستقبلي - اتجاه المطابقة فيها هو وجوب تغيير العالم

ليطابق الكلمات - الحالة النفسية المعبر عنها من

خلالها هي التعبير عن الرغبة في تنفيذ فعلاً أو تركه

- تختلف عن التوجيهيات في أن المتكلم هو الذي ينفذ الفعل ويحدث التغيير

● **التعبيريات (Actsexpressive):** كأمثلة عنها: يشكر، يواسي، يهنئ،

يشكو... - غرضها الإنجازي هو التعبير عن موقف

نفسية من قضية معينة - فيها يتوافق الفعل الإنجازي مع التعبير عن

الموقف النفسي - لا يوجد معها اتجاه مطابقة بين العالم والكلمات

ولا العكس

● **الإعلانيات (Actsdeclaratives):** كأمثلة عنها: يعين، يسمي، يدين،

يبرئ... - تتعلق أفعالها الكلامية غالباً بمؤسسات

غير لغوية أو بأشخاص محولين وفي ظروف خاصة

- تقترب من الاخباريات أحيانا - وضع تعريف لمصطلح معين -

- يكون اتجاه المطابقة فيها في الاتجاهين

7- الاستلزام الحوارية وقواعد الحوار:

قام "بول قرايس" بعمل جبار لإبراز القيمة التداولية للكلام³³ من خلال وضعه جملة

من القوانين والمبادئ الصارمة التي توضح كيفية استعمال الناس للغة بطريقة فعّالة

ومؤثرة، حيث توصل إلى أن الناس في حواراتهم³⁴:

- قد يقولون ما يقصدون ... الجو بارد (إخبار)
 - وقد يقصدون أكثر مما يقولون ... الجو بارد (أغلق الباب - أمر -)
 - بل قد يقصدون عكس ما يقولون ... الجو بارد (أثناء وقوع حريق - تهكُّمًا -)
- (وركز اهتمامه على كيفية التمييز بين ما يقال من معان صريحة مستخلصة من الصيغة الحرفية للجملة بمحتواها القضوي والقوة الإنجازية المباشرة، وبين ما يقصد من معان ضمنية تفهم انطلاقاً من السياق بما فيه من معان عرفية وحوارية، خاصة عند اختلاف المعنيين، وهو ما يحدث في الفعل غير المباشر، ووضع لذلك مبدأ التعاون³⁵ Le Principe de cooperative الذي يحكم الحوارين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حوارى عام مفاده " ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه هذا الحوار وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار"، ثم اقترح أربع مبادئ أو مسلمات متفرعة عنه³⁶:

- مسلمة الكم maxime de quantité: اجعل مساهمتك في الحوار بالقدر الكافي من المعلومات
- مسلمة الكيف maxime de qualité: لا تقل ما لا تعلم أو ما لا تستطيع

إثباته .

- مسلمة الملاءمة *maxime de pertinence*: ليكن مقالك مناسباً للمقام

- مسلمة الطريقة *maxime de modalité*: ليكن كلامك موجزاً، واضحاً،

ومنظماً.

وبعد اقتناعه بأن الدراسات الدلالية لا تقدم إلا الشيء القليل لتفسير الهوة الكبيرة بين المعنى الحرفي والمعنى الضمني وضع نظرية الاستلزام الحواري وعدّها وسيلة ناجعة للاستدلال على المعنى الضمني انطلاقاً من المعنى الحرفي، ثم طورها لمعرفة كيفية استخدام الناس للغة، وعدّد له خواصاً تميزه أهمها³⁷:

- الاستلزام ممكن إلغائه، ويكون بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول

دونه. - الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي؛ أي أن الاستلزام الحواري

متصل بالمعنى الدلالي لما يقال لا بالصيغة اللغوية التي قيل بها، فلا ينقطع مع استبدال

مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها. - الاستلزام متغير؛ والمقصود بالتغير أن التعبير

الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزمات مختلفة في سياقات مختلفة فيختلف الاستلزام

حسب السياق الوارد فيه.

-الاستلزام يمكن تقديره؛ والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة نحو الوصول إلى ما يستلزمه الكلام، فالقارئ تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي، فيبحث عما وراء الكلام من معنى مادام المتكلم ملتزماً بمبدأ التعاون، وبين أن احترام هذه القواعد يجعل الحوار فعالاً وذا جدوى، وأوضح أننا لا نلجأ لاستعمال الاستلزام الحوارية إلا عند خرق أحد القوانين³⁸ المذكورة سلفاً، ثم قام بوضع شروط لتحقيق الاستلزام الحوارية ينحصرها في النقاط التالية:- أن يحترم المتحدثون على الأقل مبدأ التعاون.

-أن

يعتقد المتكلم أن المعنى المستلزم ضروري.

- يظنّ المتكلم أن

المخاطب قادر على الإدراك والفهم.

-أن يعلم المخاطب حقائق معينة ضرورية.

-على

المخاطب أن يكون قادراً على الاستنتاج انطلاقاً من قاعدة الملاءمة.

-على المشاركين في الحوار احترام السياق اللغوي وغير اللغوي.

- على

المتكلم أن يحترم المعنى العربي ويعرف العبارات الإحالية.

ليتوصلني نهاية المطاف إلى اقتراح آلية استدلالية للانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى

الضمني فوق الخطوات التالية³⁹:

- تلفظ المتكلم بهذه الجملة .
- المتكلم يعدد بقواعد الحوار أو بمبدأ التعاون .
- يجب أن يفكر المتكلم في المعنى المستلزم . - المتكلم المتعاون يعلم أن
- المعرفة المشتركة تمكن المخاطب من افتراض المعنى المستلزم - المتكلم لم يعق المخاطب
- من فهم المعنى المستلزم . - المتكلم يريد أن يجعل المخاطب
- يشركه في فهم المعنى المستلزم الذي أراده لا الحرفي .

-
- ¹ ينظر : خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ لللسانيات، دارالقصبة للنشر، الجزائر، الطبعة الثانية، 2006م، ص 161.
- ² ينظر: جون لونغشاو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا للشرق، 1991، ص 13-14
- ³ أنروبولوجا كموشلار، القاموس الموسوعي للتلدولية، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف عبد الدين مجدوب، إشراف خالد ميلاد، دارسينا ترا، تونس، 2010، ص 50
- ⁴ ينظر: جوتس هنده لانج، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، ترجمة سعيد حسن بحري، مكتبة زهراء الشرق، ط 1، 2012/1433، ص 19
- ⁵ ينظر: أوستين، مرجع سابق، ص 17
- ⁶ . : Jhon .l.(Austin) : quand dire, c est faire ; introduction traduction : .
- Cf. Gilles Lane
- .postface de Francois Réciniti, édition du seuil (paris), 1970.P41
- ⁷ فيليب لانشيه، التداولية من أوستين إلى لغوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دارالحوار، اللاذقية، سوريا، الطبعة الأولى، 2007، ص 53
- ⁸ ينظر: نفس المرجع، ص 69 وما بعدها.

⁹ ينظر: أحمد محمود نخلة، مرجع سابق، ص 63-65

¹⁰ ينظر: أوستين، مرجع سابق، ص 87

¹¹ لفهم "فعل - القول" ينظر: كاترين أوركيوني، فعلا لقولنا الذاتية في اللغة، ترجمة: محمد نظيف، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 2007، ص 39.

¹² Cf. Gilles Siouffi .Dan Van Raemdonck . « 100 fiches pour comprendre la linguistique » . breal.france .1999.p146

¹³ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، مرجع سابق، ص 155

¹⁴ ينظر: أحمد محمود نخلة، مرجع سابق، ص 45 وجوتس هنده لانج، مرجع سابق، ص 42

¹⁵ إنَّ الفصل بين العناصر الفعلية التي يقوم عليها الفعل القولِي هو فصل إجرائي، والثابت أنهما مرتبطة لدرجة يصعب معها فصل عنصر عن آخر فصلا تطبيقيا؛ فالفعل الدلالي يتوقف على تحقيق الفعل التركيبي، والفعل التركيبي يتوقف على تحقيق الفعل الصوتي.

¹⁶ تميز بين الفعل الإنجازي والفعل التأثري بالتفريق بين هاتين الصياغتين:

- في حال قولِي كذا، فقد حققت وعدا أو تحذيرا صياغة فعل إنجازي

- بواسطة قولِي كذا، فقد أزعجت مخاطبي أو أفنعته صياغة فعل تأثري

¹⁷ - يمكن أن تمثل لهذه العناصر من خلال الجملة التالية: لقد نجح أخوك.

إن المتكلم لما يتلفظ جملة كهذه فإنه يكون محققا للفعل اللغوي بمستوياته الثلاثة كالتالي:

أ - إنه قال لي: "لقد نجح أخوك....." فعل قولِي

ب - إنه أخبرني بنجاح أخي..... فعل إنجازي

ج - إنه أفرحني بقوله هذا..... فعل تأثري

¹⁸ ينظر: أحمد نخلة، مرجع سابق، ص 46 و صلاح إسماعيل عبد الحق، مرجع سابق، ص 222-223

¹⁹ جونسيرل، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، ط 1، 2006،

ص 201

* speech acts ترجم هذا المصطلح في الفرنسية إلى "actes de langage"، "actes de parole"

و"actes de discours" و سارت الترجمات العربية وفقها فكانت "أفعال اللغة"، و "أفعال الكلام" و "أفعال

الخطاب"

²⁰ ينظر: نعمان بوقرة، مرجع سابق، ص 192

²¹ ينظر: أحمد محمود نخلة، مرجع سابق، ص 47.

²²Cf. John .R.(Searle): les actes de langage: essai de philosophie de

langage,Hermann ,paris 1972, p 69

²³ ينظر: جوتس هنده لانج ، مرجع سابق، ص 87

²⁴ ينظر: أنروبولوجا كموشار، التداولية اليوم:

علم جديفيا التواصل، ترجمة سيفالدينغ فوسو محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003،

ص 34 و ينظر: جوتس هنده لانج ، مرجع سابق، ص 146 وما بعدها

²⁵ ينظر: جوتس هنده لانج ، مرجع سابق، ص 146 ويمكن تعميم هذه الشروط على أفعال لغوية أخرى مع

بعض التغييرات.

²⁶ لم يحظ هذا المصطلح "الجملة" بتعريف فعلي في مجال اللسانيات كما هو الحال في مجال النحو. ينظر:

مارينو الغارييريو، المصطلحات المفتاحية لللسانيات، ترجمة عبد القادر فهمي الشيباني، مطبعة سيديلعباس، الجزائر، الطبعة الأولى،

2007، ص 80

²⁷ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، مرجع سابق، ص 225-229 و أحمد محمود نخلة، مرجع سابق، ص 85-

87

²⁸ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، مرجع سابق، ص 136 و جوتس هنده لانج، مرجع سابق، ص 159

²⁹ ينظر: أحمد محمود نخلة، مرجع سابق، ص 82

³⁰ ألم يجدك تيمما فأوى [الضحى 6]: ففي مثل هذه الاستفهامات الإنكارية بجلّ الإخبار محل الاستفهام.

³¹ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، مرجع سابق، ص 232-237 و جوتس هنده لانج، مرجع سابق، ص 78-85

³² ترى الأستاذة زبيبة كريمة أن هناك مؤشرات كفيلة بإبراز الدور الإنجازي للفعل منها صيغة الفعل: يأمر،

يعد... وأشكال نحوية أو اصطلاحية "باسم الشعب" و كذا التنغيم والموقف... ينظر:

زبيبة كريمة، اللغة والفعل الكلاميوالاتصال: مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين، ترجمة سعيد حسن

بجيري، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، 2011، ص 100

³³ عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر: مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار

البيضاء، المغرب، 2006م. ص 25

³⁴ ينظر: أحمد محمود نخلة، مرجع سابق، ص 33-34

³⁵ مثال لاحترام قواعد مبدأ التعاون: *الزوج: أين مفاتيح السيارة؟ *الزوجة: فوق المكتب، ففي هذا الحوار

تتمثل مبادئ التعاون

التي قررها جريس، فقد أجابت الزوجة إجابة واضحة (الطريقة)، وكانت صادقة (الكيف)، واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات (الكم)، وأجابت إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال زوجها (الملاءمة)، فلم يتولد عن قولها استلزام، لأنها قالت ما تقصد ينظر: أحمد محمود نحلة، مرجع سابق، ص 35

³⁶ ينظر: مسعود صحراوي، مرجع سابق، ص 34

³⁷ ينظر: أحمد محمود نحلة، مرجع سابق، ص 38

³⁸ - خرق قاعدة الكم: الأب: هل راجعت دروسك ونظفت أسنانك؟ الابن: نعم راجعت دروسي.
يستلزم أنه لم ينظف أسنانه). - خرق قاعدة الكيف: التلميذ: طهران في تركيا أستاذ؟
الأستاذ: طبعاً وموسكو في العراق.

- خرق قاعدة الملاءمة: علي: أين حمزة؟ سعيد: ثمة سيارة أمام منزل خالد.

- خرق قاعدة الكيفية: شخص يستأذن للدخول: قم، اتجه إلى الباب، ضع المفتاح في القفل، ثم أدره ناحية اليسار... ينظر: أحمد نحلة، ص 37

³⁹ ينظر: أحمد محمود نحلة، مرجع سابق، ص 112